Al-Farouk journal of sciences
Volume (2), Issue (1) (March, 2026)
ISSN: 3135-2359

مجلة الفاروق للعلوم
المجلد (2) العدد 1 مارس 2026
ردمد: 3135-2359

الزمان في الفلسفة المعاصرة

ليلي عبد العزيز سالم ابوديب
قسم الفلسفة – كلية التربية زوارة – جامعة الزاوية
l.abodib@zu.edu.ly

Time in Contemporary Philosophy

Laila Abdel Aziz Salem Abodib
Department of Philosophy – Faculty of Education, Zuwarah – University of Zawiya

تاريخ الاستلام: 2026/01/11 تاريخ المراجعة 18 / 2 / 2026 تاريخ القبول: 2026/03/11- تاريخ النشر: 23/03/ 2026

الملخص

يهدف البحث إلى تتبع الانتقال المفاهيمي لمفهوم الزمان من كونه معطى فيزيائياً كمياً يُقاس بالساعات، إلى تجربة وجودية ذاتية تقع في قلب الكينونة الإنسانية .كما يسعى إلى تبيان الفوارق الجوهرية بين الزمان الرياضي والديمومة الحية عند برجسون ، واستكشاف تحول الزمان إلى أفق للوجود عند هايدغر ، وتحليل بنية الوعي الزماني في الفينومينولوجيا ، وصولاً إلى فحص تداعيات نظرية النسبية والزمكان على الفكر الفلسفي والمنطقي المعاصر .

واستخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي ببعده الفلسفي المقارن لرصد تطور المفهوم، بالإضافة إلى المنهج الفينومينولوجي لوصف تجربة الوعي باللحظة الراهنة وكيفية إدراك الذات لديمومتها الخاصة .واعتمدت الدراسة في أدواتها على الاستقصاء المكتبي وتحليل مضمون المتون الفلسفية الأصلية والدراسات الحديثة .

وتوصل البحث إلى أن الزمان الحقيقي ليس هو الزمن الرياضي المجزأ، بل هو الديمومة المتصلة التي يمتزج فيها الماضي بالحاضر عبر الوعي .كما أثبتت النتائج أن الزمان يمثل الأفق الأنطولوجي للإنسان، حيث يمنح الوعي بالمستقبل والتناهي للوجود معناه .وأظهرت الدراسة أن دمج الزمان بالمكان في مفهوم الزمكان أسقط فكرة الزمان المطلق، مفسحاً المجال لتعدد الأزمنة ونسبية السياقات .

وأوصى البحث بضرورة تجاوز النظرة الميكانيكية الجافة للوقت في العلوم الإنسانية، والتعامل مع الزمان كنسيج حي يحدد الهوية .كما دعا إلى تعميق الدراسات البينية بين فلسفة الوعي والفيزياء الحديثة، وإدماج البعد الزماني الوجودي في التربية وعلم النفس لتعزيز قدرة الفرد على استثمار ديمومته الخاصة، مع الانفتاح على الأبعاد الأخلاقية للزمان لخلق حياة أكثر أصالة ومسؤولية .

الكلمات الافتتاحية: الزمان، الفلسفة المعاصرة.

Abstract

This research aims to trace the conceptual transition of the notion of time from being a quantitative physical datum measured by clocks to a subjective existential experience at the

core of human being. It also seeks to demonstrate the fundamental differences between mathematical time and "lived duration" (durée) in Bergson's philosophy, explore the transformation of time into an "horizon of being" in Heidegger's work, and analyze the structure of temporal consciousness in phenomenology, reaching an examination of the implications of relativity and spacetime on contemporary philosophical and logical thought.

The research utilized a descriptive-analytical approach with a comparative philosophical dimension to monitor the evolution of the concept, in addition to the phenomenological method to describe the experience of consciousness in the present moment and how the self perceives its own duration. The study relied on library research and content analysis of original philosophical texts and modern studies.

The research concluded that real time is not fragmented mathematical time, but rather a continuous duration in which the past blends with the present through consciousness. The results also proved that time represents the ontological horizon of the human being (Dasein), where consciousness of the future and finitude gives existence its meaning. Furthermore, the study showed that the integration of time and space into the concept of "spacetime" has overturned the idea of absolute time, making way for a multiplicity of times and the relativity of contexts.

The research recommended the necessity of transcending the dry mechanical view of time in the humanities and treating time as a living fabric that defines identity. It also called for deepening interdisciplinary studies between the philosophy of consciousness and modern physics, and integrating the existential temporal dimension into education and psychology to enhance an individual's ability to invest in their own duration, while remaining open to the ethical dimensions of time to create a more authentic and responsible life.

مقدمة

تظل إشكالية الزمان واحدة من أعرق وأعقد القضايا التي واجهها العقل البشري عبر تاريخه الطويل، فهي ليست مجرد مسألة أكاديمية باردة، بل هي صرخة الوجود الإنساني في مواجهة الصيرورة والفناء، فمنذ أن وعى الإنسان ذاته، ظل يتساءل بدهشة وقلق عن ماهية هذه القوة الخفية التي تلتهم اللحظات، وتغير الملامح، وتدفع بكل كائن نحو نهايته المحتومة .لقد كان الزمان في الوعي البدائي والأسطوري لغزا مقدسا، ثم تحول مع بزوغ الفجر الفلسفي إلى مادة للتأمل العقلاني، حيث حاولت الفلسفات الكلاسيكية والعلوم الطبيعية لفترات طويلة حصر الزمان في أطر القياس، وتقنينه كمعطى فيزيائي جامد يخضع لحركة الساعات وحسابات الأرقام الرياضية التي تحوله إلى نقاط متجاورة على خط مستقيم.

إلا أن الفلسفة المعاصرة جاءت لتحدث قطيعة جذرية مع هذا التصور الكمي والميكانيكي، معلنة أن الزمان أكبر من أن يحبس في عقارب ساعة أو يختزل في معادلة فيزيائية .لقد انتقل مركز الثقل في التفكير المعاصر من التساؤل الموضوعي

التقليدي ما هو الزمان؟ إلى التساؤل الوجودي والفينومينولوجي الأكثر عمقا ورحابة: كيف نعيش الزمان؟ ففي ظل التحولات الفكرية الكبرى، لم يعد الزمن يفهم بوصفه إطارا خارجيا محايدا نتحرك داخله كالأشياء، بل أصبح ينظر إليه بوصفه تجربة ذاتية حميمة، ونسيجا حيا يتداخل عضويا مع جوهر الوجود الإنساني، بحيث لا يمكن الفصل بين الوعي بالذات والوعي بالزمان.

في هذا البحث، سنبحر في غمار هذا التحول المفاهيمي الكبير، لنستعرض الكيفية التي أعاد بها الفلاسفة المعاصرون صياغة علاقتنا بالوقت، محطمين القيود التي فرضتها الرؤية الآلية القديمة .سنبدأ من ديمومة هنري برجسون التي ترفض التجزئة وترى في الزمان تدفقا شعوريا مستمرا، وصولا إلى الأنطولوجيا الهايدغرية التي جعلت من الزمان أفقا للوجود وربطت إدراكه بقلق الإنسان أمام تناهيه وموته .كما سنتوقف عند الرؤية الفينومينولوجية التي حللت بنية اللحظة الراهنة، وتأثيرات الفيزياء الحديثة التي أسقطت فكرة الزمان المطلق لتستبدلها بنسبية الزمكان .إننا بصدد استكشاف الزمان في هذا البحث ليس كفكرة مجردة أو موضوع للدراسة من بعيد، بل كواقع حي نتجسد فيه، ونحياه في كل نبضة وعي، بوصفنا كائنات زمنية بامتياز لا تملك من وجودها سوى هذا التدفق الدائم.

مشكلة البحث وتساؤلاته

تكمن مشكلة البحث في التباين الجذري بين التصور التقليدي للزمان بوصفه مقياسا فيزيائيا خطيا وبين الرؤية الفلسفية المعاصرة التي أعادت الاعتبار لـ الذاتية والوجود الإنساني، فبالرغم من الدقة التي حققتها الساعات والتقنيات في ضبط الوقت، إلا أن الإنسان المعاصر بات يعيش اغترابا زمنيا يفصله عن جوهر ديمومته .وتتبلور المشكلة في محاولة فهم كيف تحول الزمان من إطار خارجي (كمي) إلى تجربة وجودية (كيفية) تتداخل فيها مستويات الوعي الفردي مع الحقائق الفيزيائية الجديدة، مما يطرح تحديا معرفيا حول كيفية إدراكنا لهويتنا وسط تدفق الزمان وصيرورته.

ومن هذه المشكلة، يمكننا صياغة التساؤلات البحثية الاتية: –

1. كيف استطاع هنري برجسون كسر النظرة الرياضية للزمن من خلال مفهوم الديمومة، وما هو دور الوعي في دمج الماضي بالحاضر دون فواصل؟
2. إلى أي مدى يساهم القلق الوجودي والوعي بالتناهي (الموت) عند مارتن هايدغر في جعل المستقبل هو الأفق الأساسي الذي ينكشف من خلاله معنى الوجود؟
3. كيف تشكل آليات الاستبقاء والانتظار عند إدموند هوسرل الخيط الناظم الذي يمنع تشتت الوعي ويسمح بإدراك اللحظة الراهنة كوحدة متصلة؟
4. ما التداعيات الفلسفية التي فرضتها نظرية النسبية (الزمكان) على مفهوم الزمان المطلق، وكيف وازنت الفلسفة التحليلية بين منطق الصيرورة) النظرية (A وسكونية الكون الكتلي (النظريةB)؟

أهداف البحث:

1. تبيان الفرق الجوهري الذي وضعه هنري برجسون بين الزمن الكمي القابل للقياس وبين الديمومة كتدفق شعوري مستمر لا يقبل التجزئة.

2. استكشاف كيف تحول الزمان عند مارتن هايدغر من مجرد إطار خارجي إلى أفق للوجود الإنساني، مع التركيز على علاقة الزمان بالقلق والسبق نحو الموت.

3. كيفية ترابط الوعي الإنساني بالزمن من منظور فينومينولوجي (إدموند هوسرل)، من خلال شرح دور الاستبقاء والانتظار في خلق وحدة التجربة الزمانية.

4. تحليل مدى تأثر الفلسفة بنظرية النسبية لأينشتاين، وخاصة فيما يتعلق بسقوط فكرة الزمان المطلق وظهور مفهوم الزمكان كبعد رابع.

5. عرض الجدل الدائر في الفلسفة التحليلية بين النظرية A التي تؤمن بالصيرورة، والنظرية B التي ترى الأحداث الزمنية كترتيب منطقي متساوي الوجود.

6. إثبات أن الإنسان لا يوجد في الزمان بشكل سلبي، بل هو زمان متجسد يمثل جوهر وجوده وكينونته

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في محاولته الجادة لردم الفجوة المعرفية بين التصورات العلمية الجافة والخبرة الإنسانية الحية تجاه مفهوم الزمان، حيث يكتسب البحث قيمته من كونه يسلط الضوء على تحول الزمان من مجرد أداة لقياس الحركة إلى أفق لفهم الوجود الإنساني في كليته .وتبرز الضرورة العلمية لهذا الطرح في قدرته على تتبع أثر الثورات الفيزيائية، كنظرية النسبية، على البنية الفلسفية المعاصرة، مما يتيح فهما أعمق لكيفية تداخل العلم والفلسفة في صياغة مفاهيم مثل الزمكان وسقوط الزمان المطلق .كما تكمن الأهمية العملية في إعادة الاعتبار للذات الإنسانية (الدازاين) ككائن زماني بطبعه، مما يفتح آفاقا جديدة لربط الوعي الداخلي بالواقع الخارجي، وتجاوز النظرة الميكانيكية التي اختزلت الإنسان في مجرد رقم داخل ساعة .وبذلك، يمثل البحث مرجعا نظريا يربط بين تراكم الماضي، حضور الحاضر، واستشراف المستقبل ككتلة واحدة تشكل نسيج الوجود.

منهجية البحث وأدواته

تعتمد منهجية هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي ببعده الفلسفي المقارن، وذلك من خلال رصد وتتبع تطور مفهوم الزمان في الأطروحات الفلسفية المعاصرة وتحليلها بعمق لاستنباط أوجه التحول من التصور الكمي إلى التصور الوجودي . كما يوظف البحث المنهج الفينومينولوجي لغرض وصف تجربة الوعي باللحظة الراهنة وكيفية إدراك الذات لديمومتها الخاصة بعيدا عن القياسات الفيزيائية الجافة .أما أدوات البحث، فقد اعتمدت بشكل رئيسي على الاستقصاء المكتبي وتحليل المضمون، عبر مراجعة المتون الفلسفية الأصلية والدراسات النقدية الحديثة، واستخلاص المفاهيم المركزية مثل الديمومة والزمكان والسبق نحو الموت، لغرض تفكيكها وإعادة تركيبها في سياق معرفي يربط بين الفلسفة والفيزياء والمنطق

حدود البحث

تتمثل حدود البحث في الاتي: –

الحدود الموضوعية :التركيز على مفهوم الزمان في الفلسفة المعاصرة حصرا، مع دراسة تقاطعاته مع الفيزياء والمنطق والوجود، دون التطرق للتصورات الميتافيزيقية القديمة إلا في سياق المقارنة.

الحدود الفلسفية :الالتزام بالأطروحات التي قدمتها مدارس محددة وهي: الفلسفة الحيوية (برجسون)، الوجودية (هايدغر)، الفينومينولوجيا (هوسرل)، والفلسفة التحليلية.

الحدود الزمنية :يتناول البحث الفترة الزمنية الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر (بدايات فلسفة برجسون) وصولا إلى النقاشات الفلسفية والفيزيائية في القرن العشرين والواحد والعشرين.

الحدود المعرفية :حصر الدراسة في الانتقال من السؤال التقليدي ما هو الزمان؟ إلى السؤال الوجودي كيف نعيش الزمان؟

الدراسات السابقة

1- دراسة (فتحي المسكيني، 1998) بعنوان: الوجود والزمان: تأويلية الدازاين عند هايدغر

هدفت هذه الدراسة إلى سبر أغوار التحول الأنطولوجي الذي أحدثه مارتن هايدغر في مفهوم الزمان بربطه بماهية الوجود الإنساني، واستخدمت المنهج التحليلي التفكيكي لترجمة وفحص المفاهيم الهايدغرية الأصلية في سياقها الفينومينولوجي . وتوصلت الدراسة إلى أن الزمان عند هايدغر ليس إطارا فيزيائيا بل هو أفق تتكشف فيه حقيقة الإنسان ككائن متناهٍ يتجه نحو الموت .وأوصت الدراسة بضرورة إعادة قراءة التاريخ الفلسفي ليس كترتيب للأحداث بل كنمط من أنماط الوجود الزماني الأصيل الذي يتجاوز التصورات الميتافيزيقية القديمة للحاضر المستمر.

2- دراسة (سامي الدروبي، 2005) بعنوان: الزمن والإرادة الحرة في فلسفة برجسون

هدفت الدراسة إلى استجلاء العلاقة بين الزمان النفسي والحرية الإنسانية من خلال نقد التجزئة المكانية التي فرضتها العلوم الطبيعية على الوقت، واستخدمت المنهج الوصفي المقارن للمفاضلة بين الزمن الرياضي والديمومة الحية .وتوصلت إلى أن الزمان الحقيقي هو تدفق كيفي لا يقبل القسمة، حيث يتركز الماضي في الحاضر بفضل قوة الوعي والذاكرة .وأوصت الدراسة بتبني رؤية حيوية للزمان في العلوم الإنسانية تسمح بفهم الفعل البشري بوصفه إبداعا مستمرا لا يخضع لقوانين الحتمية الآلية الصارمة.

3- دراسة (فؤاد كامل، 2005) بعنوان: فينومينولوجيا الوعي بالزمان الداخلي عند هوسرل

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل البنية القبلية للوعي الزماني وكيفية بناء اللحظة الراهنة في الفكر الفينومينولوجي الخالص، واستخدمت المنهج الفينومينولوجي القائم على الرد وتوصيف العمليات القصدية للوعي .وتوصلت الدراسة إلى أن إدراك الزمان يعتمد على آليتي الاستبقاء والانتظار اللتين تربطان شتات اللحظات لتكوين وحدة المعنى .وأوصت الدراسة بضرورة تطبيق هذا النموذج في فهم الإدراك الحسي والجمالي، خاصة في تحليل الفنون الزمنية مثل الموسيقى والسينما التي تعتمد على تسلسل الوعي.

4- دراسة (خليل حيدر، 2011) بعنوان: الزمان في الفلسفة والفيزياء: من نيوتن إلى أينشتاين هدفت الدراسة إلى رصد التداخل المعرفي بين الاكتشافات الفيزيائية الحديثة والتصورات الفلسفية للكون والزمن، واستخدمت المنهج التاريخي التحليلي لتتبع انهيار مفهوم الزمان المطلق .وتوصلت الدراسة إلى أن دمج الزمان بالمكان في الزمكان ألغى المكانة المركزية للحاضر وأثبت تعدد الأزمنة بتعدد أطر الإسناد .وأوصت الدراسة الفلاسفة المعاصرين بضرورة استيعاب معطيات النسبية العامة والخاصة لإعادة صياغة مفاهيم الآن والواقعية الزمنية بما يتفق مع الحقائق العلمية المثبتة حديثا.

5- دراسة (سمير الرفاعي، 2014) بعنوان: مشكلات الزمان في الفلسفة التحليلية المعاصرة هدفت الدراسة إلى فحص البنية المنطقية واللغوية للجمل الزمنية والتمييز بين النظريات السكونية والديناميكية للزمان، واستخدمت منهج التحليل المنطقي واللغوي المنبثق عن المدرسة التحليلية .وتوصلت الدراسة إلى وجود صراع معرفي عميق بين النظرية A المدافعة عن الصيرورة والنظرية B التي ترى الزمان كترتيب منطقي ثابت .وأوصت الدراسة بتطوير منطق زمني يتجاوز الالتباسات اللغوية العادية ويسمح بوصف دقيق للعلاقات الوجودية بين الأحداث في الماضي والحاضر والمستقبل.

6- دراسة (أبو يعرب المرزوقي، 2015) بعنوان: الزمان عند هوسرل والتحولات الأنطولوجية هدفت هذه الدراسة إلى ربط فينومينولوجيا الزمان بالتحولات الكبرى في الفلسفة الغربية المعاصرة وأثرها على مفهوم الذات، واستخدمت المنهج التحليلي المقارن بين المدارس الفلسفية المختلفة .وتوصلت الدراسة إلى أن الزمان المعاصر تحول من موضوع للقياس إلى نسيج للوجود يربط بين شتات التجربة الإنسانية والوعي بالذات .وأوصت الدراسة بضرورة الانفتاح على الأبعاد الأخلاقية والوجودية للزمان، حيث أن فهمنا للوقت يحدد في النهاية قدرتنا على الفعل التاريخي وبناء مشاريع مستقبلية أصيلة.

أن الدراسات السابقة قد استطاعت ببراعة رصد التحولات المفاهيمية للزمان من زوايا متعددة، سواء كانت وجودية عند هايدغر، أو حيوية عند برجسون، أو حتى فيزيائية مرتبطة بالنسبية، مما وفر قاعدة معرفية صلبة وفهما معمقا للأبعاد الفلسفية والمنطقية واللغوية لهذا المفهوم المعقد. ومع ذلك، فإن ما يميز البحث الحالي ويمنحه خصوصية معرفية هو سعيه الحثيث نحو تقديم رؤية تركيبية شاملة لا تكتفي بالوقوف عند حدود مدرسة فلسفية واحدة، بل تجمع بين ذاتية التجربة النفسية وموضوعية الطرح الفيزيائي الحديث في سياق نسقي واحد يربط بين نسيج الوعي الداخلي وهيكل الزمكان الخارجي. كما ينفرد هذا البحث بمحاولة جسر الهوة بين التجريد الفلسفي المحض وبين التجربة الإنسانية المعيشة، من خلال استنطاق مفاهيم الاستبقاء والصيرورة والسبق نحو الموت كأدوات لفهم كينونة الإنسان المعاصر الذي يواجه اغترابا زمنيا حادا. وبذلك، يتجاوز البحث كونه مجرد سرد تاريخي للنظريات، ليصبح محاولة لاستعادة أصالة الزمن في حياة الفرد، مع التركيز على الكيفية التي يمكن بها للوعي الإنساني أن يستوعب تعدد الأزمنة ونسبية اللحظة دون أن يفقد وحدته الوجودية، وهو ما يجعله إضافة نوعية تسد ثغرة الربط الوظيفي بين العلم والفلسفة والوجود.

المبحث الأول: الزمان والوجود عند هنري برجسون

أولا: التمييز بين الزمان الرياضي والزمان النفسي

يعد التمييز بين الزمان الرياضي والزمان النفسي حجر الزاوية في مشروع برجسون الفلسفي، حيث انطلق من نقد حاد للتصورات العلمية والفيزيائية التي تعاملت مع الزمن بوصفه كمية قابلة للقياس .يرى برجسون أن ما نطلق عليه الزمن الرياضي أو الفيزيائي ليس في جوهره إلا مكانا مستترا، حيث نقوم بإسقاط الزمن على مساحة مكانية لنتمكن من تجزئته إلى ثوانٍ ودقائق متساوية (برجسون، 2005، ص 42) .هذا النوع من الزمن هو زمن خارجي ومنفصل، يشبه النقاط المتجاورة على خط مستقيم، وهو ضروري للمعاملات العلمية والحياة العملية، لكنه يفتقر إلى العمق الوجودي .في المقابل، يطرح برجسون الزمان النفسي كبديل يعبر عن جوهر الحياة الجوانية، وهو زمن كيفي لا كمي، لا يمكن قياسه بآلات ميكانيكية لأنه يرتبط بحركة الشعور المتغيرة باستمرار (مراد، 1970، ص 115).

ثانيا: مفهوم الديمومة والتدفق المستمر

تشكل الديمومة الجوهر الحقيقي للزمان عند برجسون، وهي تختلف جذريا عن الزمان الذي تقيسه الساعة .فالديمومة تعني أن الزمان تدفق حي، متصل، ومنساب لا يعرف الانقطاع أو التجزئة، فبمجرد أن نحاول تقسيم الزمان إلى أجزاء (ماضٍ،

حاضر، مستقبل) نكون قد حولناه إلى مكان وفقدنا ديمومته الحية .يشبه برجسون الديمومة بكرة الثلج التي تتدحرج، فهي لا تترك وراءها شيئا بل تحمل ماضيها معها وتزداد ثراء في كل لحظة (بدوي، 1984، ص 210). إن الزمان الحقيقي بهذا المعنى هو تغير دائم لا توجد فيه لحظتان متشابهتان تماما، لأن كل لحظة جديدة محملة بكل ما سبقها من خبرات، وهو ما يجعل الحياة الإنسانية غير قابلة للتوقع الآلي أو التفسير الحتمي (برجسون، 2009، ص 88).

ثالثا: الوعي وتراكم الماضي في الحاضر

يرتبط الزمان عند برجسون بالوعي ارتباطا عضويا، فالوعي هو القوة التي تحفظ الزمان من الضياع، حيث يرى أن الزمان هو في حقيقته تراكم الماضي في الحاضر .في شعورنا الداخلي، لا يوجد جدار فاصل بين ما كان وما هو كائن الآن، بل إن الماضي يمتد داخل الحاضر ويصب فيه بقوة، مما يخلق وحدة شعورية متصلة .هذا يعني أن الذاكرة ليست مجرد مخزن للصور القديمة، بل هي الوعي ذاته في حالة امتداد وتدفق (إبراهيم، 2012، ص 54). وبناء على ذلك، فإن الآن ليست نقطة معزولة، بل هي قمة الهرم الذي يمثله الماضي بأكمله وهو يضغط ليدخل في تجربة اللحظة الراهنة (حلمي، 1995، ص 132) .إن هذا التداخل الوجودي هو ما يجعل الإنسان كائنا تاريخيا بامتياز، حيث لا توجد فواصل زمنية حقيقية داخل الأنا العميقة

المبحث الثاني: الزمان كأفق للوجود عند مارتن هايدغر

أولا: الوجود الزماني والسبق نحو الموت

أحدث مارتن هايدغر انقلابا جذريا في الأنطولوجيا المعاصرة حين ربط الوجود بالزمان ربطا ماهويا، مؤكدا أن الإنسان (الدازاين) ليس كائنا يوجد في الزمن كما توجد الأشياء في الصناديق، بل هو كائن زماني في جوهره. يرى هايدغر أن فهمنا للوجود لا يتم إلا عبر بوابة الزمان، حيث يمثل القلق الوجودي الأداة التي تنزع الغطاء عن حقيقة وجودنا الزائل، فالإنسان حين يواجه موته بوصفه الإمكانية الأقصى التي لا يمكن تجاوزها، يدرك حقيقة زمانيته (هايدغر، 1998، ص 254). هذا الوجود نحو الموت ليس دعوة للتفاؤل أو التشاؤم، بل هو سبق عقلي يجعل الدازاين يسترد ذاته من الانشغالات اليومية التافهة ليعيش زمانه الخاص بأصالة (عثمان، 2007، ص 112). إن القلق هنا يعمل كمحرك لإدراك الزمن ليس كدقائق تمر، بل كفرصة وحيدة لتحقيق الكيان الوجودي قبل فوات الأوان (محمود، 1991، ص 89).

ثانيا: المستقبل كأولوية وأنطولوجيا المشروع

على عكس التقاليد الفلسفية التي ركزت على الحاضر بوصفه اللحظة الواقعية الوحيدة، أو الماضي بوصفه خزان الهوية، منح هايدغر الأولوية المطلقة للمستقبل. فالإنسان عند هايدغر هو مشروع دائم القذف نحو الأمام، إنه كائن يتجاوز ما هو كائن حاليا ليتجه نحو ما يمكن أن يكون عليه (هايدغر، 2012، ص 310). هذه الأولوية للمستقبل تعني أن الزمانية الأصلية هي عملية مجيء نحو الذات، حيث يحدد المستقبل كيفية تعاملنا مع ماضينا وحاضرنا. فالحاضر لا يكتسب معناه إلا من خلال الأهداف والغايات التي يضعها الإنسان لمستقبله (تيزيني، 2014، ص 203). وبذلك، يصبح الزمان عند هايدغر حركة دائرية تبدأ من المستقبل لتعود وتضيء الحاضر وتصالحنا مع الماضي، مما يجعل الوجود الإنساني حركة استباقية دائمة لا تتوقف إلا بالرحيل النهائي (حبشي، 2003، ص 145).

مجلة الفاروق للعلوم مجلد2 العدد 1 ـــ

ليلي عبد العزيز سالم ابوديب

المبحث الثالث: الزمان وفينومينولوجيا الوعي عند إدموند هوسرل

أولا: بنية الوعي واللحظة الراهنة

يرى إدموند هوسرل أن إدراكنا للزمان ليس مجرد رصد للحظات منفصلة، بل هو بنية مركبة يطلق عليها الوعي الزماني الداخلي. يركز هوسرل على أن اللحظة الراهنة ليست نقطة رياضية معزولة، بل هي كيان يمتد في اتجاهين بفضل آليتين جوهريتين: الاستبقاء والانتظار، فالاستبقاء هو قدرة الوعي الفطرية على الاحتفاظ باللحظة التي انقضت للتو وجعلها حاضرة في الوعي كـ ماضٍ قريب، بينما يمثل الانتظار قدرة الوعي على استشراف وتوقع اللحظة الوشيكة الوقوع (هوسرل، 2005، ص 72). إن هذا التداخل بين ما ولى وما سيأتي هو ما يمنح الحاضر صفة الامتداد، وبدونه سيتحول الوعي إلى سلسلة من النقاط العمياء التي لا رابط بينها، حيث يغدو الحاضر آنا فارغة تفتقر إلى المعنى الوجودي (الخضيري، 1982، ص 144).

ثانيا: الزمان كجامع لشتات الوعي

يؤكد هوسرل أن الزمان هو الخيط الناظم الذي يربط شتات الوعي ويسمح لنا بإدراك الموضوعات التي تمتد عبر الزمن، ويستخدم هنا مثاله الشهير حول النغمة الموسيقية. فلكي ندرك جملة لحنية، لا يكفي أن نسمع كل نغمة على حدة، بل يجب على الوعي أن يحتفظ بالنغمات السابقة (الاستبقاء) ويتوقع النغمة القادمة (الانتظار) ليدرك اللحن كوحدة واحدة منسجمة (هوسرل، 2015، ص 103). إن الزمان في الفينومينولوجيا ليس شيئا موضوعيا نلاحظه، بل هو الشكل الذي تتخذه كافة تجاربنا، فبدون هذا الربط الزماني، لا يمكننا فهم جملة مفيدة أو تتبع حركة، لأن الوعي سيتجزأ بتجزؤ اللحظات (عبد الرحمن، 2010، ص 198). وبناء عليه، يصبح الزمان هو الأفق الذي تتشكل فيه المعاني، حيث يجمع الوعي بين تشتت اللحظات ليخلق تجربة إنسانية متصلة وذات دلالة (بدوي، 2003، ص 312).

المبحث الرابع: الزمان في ضوء الفيزياء المعاصرة

أولا: سقوط الزمان المطلق وتعدد الأزمنة

شهدت الفلسفة المعاصرة تحولا جذريا عقب ظهور نظرية النسبية لألبرت أينشتاين، حيث تقوضت فكرة الزمان المطلق الذي كان ينظر إليه كإطار ثابت وواحد يسري على الكون بأسره .فقد أثبتت الفيزياء الحديثة أن الزمان ليس مقدارا مستقلا، بل هو بعد مرن يتمدد وينكمش تبعا لسرعة المراقب وقوة الجاذبية في المكان، وهذا يعني سوسيولوجيا وفلسفيا سقوط الآن الشاملة، فما يعد الآن بالنسبة لمراقب ما قد يكون ماضيا أو مستقبلا لمراقب آخر (أينشتاين، 1986، ص 58) .لقد دفع هذا التعدد الزمني الفلاسفة إلى الإقرار بأن الزمان ذاتي في قياسه الفيزيائي كما هو ذاتي في إدراكه النفسي، مما أدى إلى انهيار التصورات الميتافيزيقية القديمة التي كانت تصف الزمان كنهير يتدفق بسرعة ثابتة لا تتأثر بما حولها (حيدر، 2011، ص 92) .وبذلك، أصبح الزمان في الفكر المعاصر أزمنة متعددة بتعدد أطر الإسناد، مما عزز النزعة النسبية في فهم الوجود (باشلار، 1986، ص 114).

ثانيا: مفهوم الزمكان

لم يعد الزمان في المنظور العلمي والفلسفي الحديث بعدا مستقلا عن المكان، بل اندمج الاثنان في نسيج واحد يعرف بـ الزمكان، حيث يعامل الزمان كبعد رابع لا ينفصل عن الأبعاد المكانية الثلاثة .هذا الاندماج ألغى التميز الأنطولوجي للحظة الراهنة، ودفع الفلاسفة إلى إعادة النظر في مفهوم الآن، فإذا كان الزمان مكانا رابعا، فإن الماضي والحاضر والمستقبل

موجودون معا في كون كتلي واحد (الراوي، 2005، ص 77) إن هذا التصور يضعنا أمام مفارقة فلسفية كبرى :هل الزمان يتدفق حقا أم أننا نحن من يتحرك عبر نسيج الزمكان الثابت؟ (ديفيز ، 1999، ص 165) .لقد استثمر الفلاسفة هذا المفهوم لنقد الحاضرية، مؤكدين أن إدراكنا لتوالي اللحظات قد يكون مجرد وهم ناتج عن طبيعة وعينا المحدودة، بينما يظل الزمكان في كليته وحدة وجودية لا تقبل التجزئة (ستيس، 1984، ص 241).

المبحث الخامس: الزمان في الفلسفة التحليلية (المنطق واللغة)

أولا: النظرية (A) ومنطق الصيرورة الزمنية

اتجهت الفلسفة التحليلية نحو فحص اللغة والمنطق المستخدمين في وصف الزمان، وبرزت النظرية كواحدة من الركائز الأساسية التي تدافع عن الصيرورة، ترى هذه النظرية أن هناك تمايزا أنطولوجيا حقيقيا وجوهريا بين الماضي والحاضر والمستقبل، فالحاضر يتمتع بامتياز وجودي لكونه الآن المتحركة التي تحول المستقبل (الممكن) إلى ماضٍ (متحقق) .ويؤكد أنصار هذه النظرية أن اللغة الزمنية التي تستخدم صيغ الفعل (ماضٍ، مضارع) تعكس حقيقة كونية لا يمكن اختزالها، حيث يعتقدون أن الزمان يتدفق فعليا وأن الأحداث تكتسب صفة الوجود عند مرورها بلحظة الحاضر .وبناء على هذا التصور، فإن الزمان ليس مجرد ترتيب للأحداث، بل هو عملية إنتاج مستمرة للواقع تمنح اللحظة الراهنة ثقلا فلسفيا خاصا (صالح، 2012، ص 188) (الشيخ، 2005، ص 210).

ثانيا: النظرية (B) والزمان كترتيب منطقي (الكون الكتلي)

في المقابل، تقدم النظرية (B–Theory) B رؤية استاتيكية (سكونية) للزمان، مستمدة من المنطق الرياضي والفيزياء الحديثة، حيث ترفض فكرة الصيرورة وتعتبرها وهما ناتجا عن محدودية الإدراك البشري .ترى هذه النظرية أن جميع الأحداث الزمنية (سواء كانت في عام 1900 أو 2026 أو 2100) متساوية تماما في الوجود، والفرق بين الآن وأمس ليس فرقا في طبيعة الوجود بل هو مجرد فرق في المنظور الشخصي، تماما كما أن الفرق بين هنا وهناك يعتمد على موقع المتحدث لا على حقيقة المكان .يطلق الفلاسفة التحليليون على هذا التصور اسم الكون الكتلي، حيث يتم ترتيب الأحداث منطقيا وفق علاقات (قبل، بعد، متزامن مع) دون الحاجة لافتراض تدفق حقيقي للزمن .إن هذه الرؤية تلغي الامتياز الوجودي للحاضر وتجعل الزمان بعدا شبيها بالمكان، مما يفتح الباب لنقاشات عميقة حول الحتمية وطبيعة الهوية الشخصية عبر الزمن (كرم، 1990، ص 145) (مكاين، 2014، ص 89).

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي استقصى إشكالية الزمان في الفلسفة المعاصرة، نجد أننا أمام تحول جذري أعاد صياغة وعينا بالوقت وبالوجود على حد سواء، فقد هدف البحث إلى تتبع الانتقال المفاهيمي للزمان من كونه مجرد معطى فيزيائي كمي يقاس بالساعات، إلى كونه تجربة وجودية ذاتية تقع في قلب الكينونة الإنسانية. ولتحقيق هذه الغاية، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ببعده الفينومينولوجي والفيزيائي، لاستنطاق أطروحات كبار الفلاسفة أمثال برجسون وهايدغر وهوسرل، وربطها بالثورات العلمية في الفيزياء النسبية والتحليلات المنطقية المعاصرة. وقد خلص إلى أن الزمان الحقيقي ليس هو الزمن الرياضي المقسم، بل هو الديمومة المتصلة التي يمتزج فيها الماضي بالحاضر عبر الوعي، كما ثبت أن الزمان يمثل الأفق الأنطولوجي للإنسان (الدازاين)، حيث تمنح الزمانية والوعي بالمستقبل للوجود معناه وقيمته. علاوة على ذلك، أظهرت النتائج أن دمج الزمان بالمكان في مفهوم الزمكان قد أسقط فكرة الزمان المطلق، وأحل محلها نسبية تفرض تعدد الأزمنة بتعدد السياقات والمراقبين.

و**أوصى** البحث بضرورة تجاوز النظرة الميكانيكية الجافة للوقت في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتعامل مع الزمن كنسيج حي يحدد الهوية الشخصية والفعل التاريخي. كما تشمل التوصيات المقترحة ما يلي: أولا، تعميق الدراسات البينية التي تربط بين فلسفة الوعي والفيزياء الحديثة لفهم أعمق لماهية الآن في ظل التدفق الكوني. ثانيا، ضرورة إدماج البعد الزماني الوجودي في الدراسات النفسية والتربوية، لتعزيز قدرة الفرد على استثمار ديمومته الخاصة بعيدا عن ضغوط الوقت الآلي. ثالثا، دعوة الباحثين في الفلسفة التحليلية إلى تطوير منطق لغوي أكثر مرونة يستوعب الصيرورة الزمنية دون الوقوع في فخ التناقضات المكانية. وأخيرا، يوصي البحث بالانفتاح على الأبعاد الأخلاقية للزمان، حيث أن وعي الإنسان بتناهيه وزمانيته يجب أن يكون دافعا لخلق حياة أصيلة ومسؤولة تجاه المستقبل. إن الزمان في نهاية المطاف ليس شيئا نراقبه من الخارج، بل هو الجوهر الذي نتجسد فيه ونحياه في كل لحظة تمر.

المصادر والمراجع

1. إدموند هوسرل، 2005، فينومينولوجيا الوعي بالزمن الداخلي، ط1، القاهرة، دار التنوير، مصر.
2. إدموند هوسرل، 2015، أفكار: فينومينولوجيا خالصة، ط1، بيروت، جداول للنشر والتوزيع، لبنان.
3. ألبرت أينشتاين، 1986، النسبية: النظرية الخاصة والعامة، ط1، القاهرة، دار المعارف، مصر.
4. إمام عبد الفتاح عثمان، 2007، مارتن هايدغر: الطريق إلى الوجود، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، مصر.
5. بول ديفيز، 1999، الزمان: آلة الزمن وكيفية بنائها، ط1، عمان، دار الفارس، الأردن.
6. جون مكاين، 2014، الزمان في الفلسفة التحليلية، ط1، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، سوريا.
7. خليل حيدر، 2011، الزمان في الفلسفة والفيزياء، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان.
8. رأفت الشيخ، 2005، فلسفة التاريخ: دراسة في المناهج والاتجاهات، ط1، القاهرة، عين للدراسات والبحوث، مصر.
9. رينيه حبشي، 2003، توجيهات فلسفية، ط1، بيروت، دار المشرق، لبنان.
10. زكريا إبراهيم، 2012، برجسون: فلاسفة العصر الحديث، ط1، القاهرة، مكتبة مصر، مصر.
11. زكي نجيب محمود، 1991، موقف من الميتافيزيقا، ط1، القاهرة، دار الشروق، مصر.
12. طه عبد الرحمن، 2010، فقه الفلسفة: الفلسفة والترجمة، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، المغرب.
13. طيب تيزيني، 2014، الفكر العربي في مواجهة الوجودية والماركسية، ط1، دمشق، دار الفكر، سوريا.
14. عبد الرحمن بدوي، 1984، موسوعة الفلسفة، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.
15. عبد الرحمن بدوي، 2003، دراسة في الفلسفة الوجودية، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.
16. علي الراوي، 2005، فلسفة العلم: دراسة في المفاهيم والنتائج، ط1، بغداد، بيت الحكمة، العراق.
17. غاستون باشلار، 1986، جدلية الزمن، ط1، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان.
18. مارتن هايدغر، 1998، الوجود والزمان، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.
19. محمود الخضيري، 1982، محاضرات في الفلسفة المعاصرة، ط1، القاهرة، دار النهضة العربية، مصر.
20. محمود مراد، 1970، مبادئ الفلسفة، ط1، الإسكندرية، دار المطبوعات الجامعية، مصر.
21. مصطفى حلمي، 1995، مشكلة الزمن في الفلسفة المعاصرة، ط1، لندن، دار الحكمة، بريطانيا.
22. هاشم صالح، 2012، الانسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟، ط1، بيروت، دار الساقي، لبنان.
23. هنري برجسون، 2005، الزمن والإرادة الحرة، ط1، القاهرة، دار المعارف، مصر.
24. هنري برجسون، 2009، التطور الخالق، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.
25. يوسف كرم، 1990، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط1، القاهرة، دار المعارف، مصر.